المحاضرة الثانية

الثقافة الإسلامية :

عندما ظهر الإسلام، كان من أهم ما دعا إلي طلب العلم والعمل على تحصيله، كما حث النبي صلى الله عليه وسلم على طلب العلم. ويبدو الاهتمام بالعلم واضحا في جعل فداء بعض أسرى بدر من اهل مكة تعليم بعض المسلمين. ولم تكن العوة للعلم والتعلم قاصرة على الرجال فقد حث النبي صلى الله عليه وسلم صحابته على تعليم اهليهم وذويهم ، كما حث على تعليم العبيد من النساء ثم اعتاقهن والتزوج بهن.

ويجد الدارس للحضارة الإسلامية كثير من الإشارات لاستفادة الصحابة مم صحبتهم للنبي صلى الله عليه وسلم ، اذ تشير المصادر مثلا إلى نبوغ علي بن أبي طالب في القضاء، ومعاذ بن جبل في العلم بالحلال والحرام، وزيد بن ثابت في تقسيم المواريث.

كما ساهم تفرق الصحابة في الأمصار بعد الفتوح في نشرما تعلموه من النبي صلى الله عليه وسلم في مناطق الفتوح.

ويعتبر الفقهاء أن من حقوق الأمة على اللميفة نشر العلوم والشريعة وتعظيم العلم واهله وأخذ رأيهم في أمور الحكم.

وأدت الحاجة لتعلم اللغة العربية من قبل الناطقين بغيرها في مناطق الفتوح إلى نشأت بعض الدراسات العربية مثل النحو و الصرف.

وكان الاهتمام في اول الأمر بدراسة العلوم الدينية وعلوم الحديث واستنباط الأحكام الشرعية. ولذلك كان اول ما انتشر من العلوم في العهد الأموي العلوم الدينية مع بعض العناية بالترجمة و العلوم الفلسفية الأخرى.

ميز الكتاب المسلمين بين العلوم التي تتصل بالقرآن الكريم وبين تلك التي أخذها العرب من غيرهم من الأمم. فأطلقو على الأولى العلوم النقلية وهي تشمل: علم القراءآت، وعلم الحديث والفقه والنحو. بينما اطلقو على العلوم التي أخذوها من غيرهم من الأمم العلوم العقلية وهي تشمل: الفلسفة والهندسة وعلم النجوم والموسيقى والطب والسحر والكيمياء والتاريخ والجغرافيا.

العرب والثقافات الأجنبية :

أدى ظهور الإسلام والفتوحات الإسلامية إلى وقوف العرب على تراث مناطق الفتوح الذي كان يغلب علية الثقافة اليونانية والسريانية والقبطية والفارسية.

ولقد اجمل جوزيف هل هذه المؤثرات بقوله أنها ثقافة هلينيه مسيحية. كما يرى أن احتكاك العرب بهذه الثقافات منحهم ثروتها العلمية من ناحية كما أنه هيأ لهذه الثقافات فرصة الانتشار من الناحية الأخرى.

وكان العرب قبل انتقال علوم اليونان إليهم قد وقفوا أثناء الفتوح على بعض مظاهر الحضارة الهلينيه في بلاد الشام ومصر مثل فن العمارة وصناعة النسيج والصياغة، مما أيقظ في نفوسهم الرغبة في تقليدها وجلبها لأنفسهم.

فالعرب على النقيض من الشعوب الهمجية حافظوا على تلك الكنورز وطبعوها بطابعهم الخاص.

ويعود الفضل للسريانيين في نشر الفلسفة اليونانية في العراق وما حوله، وذلك عبر نقل الكتب اليونانية إلى السريانية. وكانت السريانية هي لغة الأدب والعلم لكتاب النصارى في أنطاكية وما حولها وللنصارى في بلاد فارس وكان من اهم مراكز السريانية الرها ونصيبين.

وكانت مدينة حران مركزاً للثقافة اليونانية واستمرت كذلك إلى ما بعد الإسلام.

ولقد ساهمت الترجمة إلى السريانية في حفظ بعض الكتب اليونانية التي فقد أصوليا، كما شكلت الأساس الذي اعتمد علية المسلمون اول أمرهم.

وبالرغم من أن الآداب السريانية أخذت في الضعف عقب الفتوح الإسلامية فقد نبغ بعض السريان في العهدين الأموي والعباسي كما ظلت المدارس السريانية مفتوحة في العصر الأموي ولم تتدخل الدولة في شئونها إلا نادرا عند احتدام النزاع الديني.

وقد اشتهر عدد من السريان في العصر الأموي من بينهم يعقوب الرهاوي، الذي يعود إليه الفضل في ترجمة العديد من كتب الالهيات اليونانية.

وكانت الثقافة اليونانية قد انتقمت عبر ثلاثة منابع. حيث وقعت المنطقة الواقعة بين الفرات ودجلة تحت نفوذ الثقافة لهلينيه. حيث كانت الفلسفة اليونانية تدرس في أكاديمية جنديسابور التي أنشأها كسرى أنوشروان.

وكما قام السوريان في الجزيرة بنقل الفلسفة والطب الاغريقي إلى لغتهم.

وشكلت حران المصدر الثالث الذي استمد منه العرب علوم اليونان. وقد تميز سكان حران على المنابع الأخرى بدقة ترجمتهم وذلك لمعرفتهم للغة العربية.

ولقد كان أثر الثقافة الفارسية على العرب اعمق من الأثر اليوناني وذلك بفضل ذوبان الدولة الفارسية في الدولة الإسلامية بعد الفتوح ووقف العرب على الحياة الاجتماعية للفرس ومعرفتهم للكثير من جوانبها. بينما كانت الحياة اليوناية تختلف اختلافا كبيراً في نظمها الدينية والسياسية والاجتماعية عن نظم ومعيشة العرب.

ويبدو التأثر بالثقافة الفارسية والتأثير فيها واضحاً في وجود العديد من شعراء العربية من اصل فارسي كما يلاحظ تأثر بعض المؤرخين المسلمين بطريقة الفرس في تدوين حوادث التاريخ. بينما يلاحظ ان هذا الضرب من التأثير والتاثر يكاد يكون معدوماً فيما يتعلق بالثقافة اليونانية.

الخلاصة :

مراكز الثقافة في الدولة الإسلامية تعددت مراكز الثقافة الإسلامية في صدر الإسلام وتركزت في الحجاز والعراق وبلاد الشام، وكان من أهمها المدينة ومكة والبصرة والكوفة ودمشق.

العراق: كان بالعراق مراكز عقلية أكثر من الشام. وكان من أهم المراكز العلمية بالعراق الكوفة والبصرة. وقد تم تأسيس الكوفة والبصرة في خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه كمعسكرات لجنود الفتح. وتوسعت المدينتان توسعاً ملحوظا بعد فترة وجيزة وأصبحا مركز جذب للسكان وبهما وضعت علوم العقائد والفقه كما نشأت بهما مدرسة النحويين و اللغويين.

ويرجع البعض ازدهار الحياة العلمية في العراق في العصر الأموي إلى انصراف اهل العراق عن السياسة إلى العلم خوفاً من اضطهاد الولاة. فضلا عن أن بعض الموالى سعى إلى الارتقاء الاجتماعي فأقبلوا على تعلم العربية ثم تحولوا بعد اجادتها لدراسة الأدب والعلم. كما ساهم في الاهتما بالدراسات اللغوية والفقهية الاتصال بين الفرس والعرب، و الاختلاف بين لغة القرآن واللغة الدارجة.

العراق: الكوفة والبصرة وقد ساهم التطور السريع لممدينتين بالاضافة إلى أثر احتكاك العرب بالفرس إلى قيام حركة ثقافية نشطة فيهما ، وغدا اهل المدينتين أوفر المسلمين نشاطاً بين اهليهما.

كما أدى المركز الثقافي الجغرافي لممدينتين المتوسط بين الحجاز وبلاد الشام إلى تولد شعور بشيئ من الاستقلالية لدى سكان المدينيتن.

وظهر مع مطلع القرن الثاني الهجري بروز ناحية أخرى من النشاط العقلي، حيث كانت تعقد المجالس التي تناقش فيها القضايا السياسية والقضايا العامة، فتجادلوا في الإسلام والبوذية وفي القضاء والقدر، ووضع واصل بن عطاء أسس مدرسة عقلية.

الشام: كان السكان الأصميون في بلاد الشام يتحدثون الآرامية، وتمثلت الصلات اللغوية بين بلاد العرب وبلاد الشام في وحدة اللغة بين عرب الشام وعرب الجزيرة من ناحية، وفي قرابة اللغة الآرامية من العربية من ناحية أخرى. وقد ساهمت وحدة اللغة بين عرب الشام و القبائل العربية المهاجرة في تسريع خطى التعريب في الشام.

وأصبحت دمشق مركزا ثقافياً لما شهدته من تطور سريع نتيجة لوجود مقر الدولة الأموية بها. وقد احتك العرب في دمشق بحضارة من نوع حضارتهم وهي الحضارة الآرامية.

الحجاز: المدينة كان الطبيعي أن تكون المدينة المنورة مركز جذب لجمهور من العلماء الذين نزروا أنفسهم لدراسة السيرة والحديث النبوي والأخذ عن الصحابة من امثال أنس بن مالك وعبد الله بن عمر.

كما اشتهرت مدرسة مكة بفضل عبد الله بن عباس والذي لقب بفضل علمه الواسع بالحديث والفقه والتفسير 'بحبر الأمة

وقد ظهرت في المدينة أولى مدارس التشريع بفضل وجود الصحابة كما أشرنا سابقاً. حيث غدا الحديث النبوي إلى جانب القرآن المنابع الأصلية للتشريع الإسلامي.

ويعد ابن مسعود وابن عباس مؤسسي مدرسة المدينة. كما يعتبر ابن مسعود واضع علم التفسير.

المساجد كمراكز ثقافية:

كان المسجد اول ما يتم تخطيطه عند إنشاء المدن. وكان بالاضافة إلى أنه مكان للعبادة مركزاً للحياة العامة في المدن الإسلامية منذ العهد النبوي. حيث كان مكاناً لاجتماع الصحابة بالنبي صلى الله عليه وسلم ومنه تبعث البعوث والسفراء ويتم فيه استقبال الوفود وفوق هذا وذاك كان الصحابة يستمعون فيه إلى خطب النبي في القضايا الاجتماعية والسياسية والاجتماعية

واستمرت المساجد تلعب نفس الدور كمراكز للحياة العامة في المدن الإسلامية في العهدين الراشدي والأموي. حيث كانت مكان اجتماع المسلمين، وفيها يشرح الخلفاء سياستهم العامة، وتعقد حلقات الدروس وكما كانت مقر بيت المال وتعمق هذا الدور بصورة أكثر خلال العصر الأموي.

كما كانت كتب الخليفة وأوامره تقرأ على الناس في المساجد وكان بعض الولاة أحياناً يدعون الناس لصلاة جامعة في غير يوم جمعة لتبليغ أوامر أو شرح سياسة جديدة وكانوا في بعض الأحيان قد يأمرون الشرطة باحضار الناس بالقوة.

واصبحت المساجد مراكزاً علمية يقصدها طلاب العلم والعلماء وكانت توجد بها مكتبات تحتوي على مختلف الكتب الدينية والعلمية والأدبية كما كانت المساجد مكان اً لانعقاد مجالس القضاء.

وكانت مساجد العراق أكثر مساجد الدولة الإسلامية نشاطاً ولعل كراهية اهل العراق للغناء والموسيقى وتحريم بعض الولاة للغناء أثره في أن تشهد مساجدالعراق الكثير من مظاهر النهضة العلمية والأدبية.

ومن أبرز من جلسوا في مساجد العراق للتدريس، الكميت الشاعر الذي كان يجلس لتعليم الاطفال.

ومن أشهر من عقدوا مجالس الفقه بمساجد العراق الحسن البصري والشعبي وكان الحسن البصري يلقب بإمام البصرة.

وقد اشتهر الشعبي بجانب الفقه براوية التاريخ وقد اعتمد الطبري على رواياته في تاريخه.

وكانت احياناً تعقد المناظرات الأدبية بين الشعبى و الأحنف بن قيس حول التفضيل بين البصرة والكوفة. كما شهدت المساجد بعض الأحيان حوارات حول العصبية القبلية.

وكانت المساجد احياناً مكاناً للقصاص، حيث كان الناس يتحلقون حولهم للاستماع لقصصهم. وأشهر مم قام بالقصص الحسن البصري و صالح بن مسرح الزعيم الخارجي.

وكانت الكوفة منبعاً لعلم الأنساب، مما أدى إلى كثرة النسابين الذين كانوا يقصون على الناس اخبار أسلافهم في الجاهلية.

وكانت المساجد أحياناً مسرحاً لانشاد الشعر وكان عبد الملك بن مروان يأمر الأخطل الشاعر أف يمدحه في مساجد الشام والعراق. وشهدت المساجد بعض المفاخرات بين انصار بعض الشعراء، مثل تلك التي جرت بين أنصار جرير والفرزدق والتي خلصت إلى الاتفاق على أن جرير هو شاعر العامة، بينما الفرزدق شاعر العلماء من أشير مم قام بالقصص في العراق:

- الكميت
- الحسن البصري
- الأخطل
- الفرزدق

كان سكان الشام الفتوحات الإسلامية يتحدثون اللغة ال:

- الآراميه
- القبطية
- السريانية
- الفارسية

تحدث/ تحدثي باختصار عن دور المسجد كمركز للثقافة الاسلامية؟

اعداد: رايه١١ / تنسيق: mona-2